ظاهرة الانتحار في المجتمع الجزائري

دراسة ميدانية على مستوى ولاية بجاية

أ. عمور مصطفى
جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية (الجزائر)

الملخص:

تعتبر ظاهرة الانتحار من أكبر مشكلات الإنسانية، حيث تشير الإحصائيات أن حوالي 3000 حالة انتحار فعلي في العالم الجزائر تحتل المرتبة (95) عالميا بـــ1.30 لكل 100 ألف نسمة.فبعض ولايات الوطن عرفت تناميا لظاهرة، حيث احتلت ولاية بجاية المرتبة الأولى في 2004 بتسجيل حوالي 99 حالة انتحار فعلي

جاءت هذه الدراسة لتسليط الأضواء على مختلف العوامل التي تقف وراء هذه الظاهرة. فهدف دراستنا يتمثل في محاولة تحديد العوامل المؤدية إلى الانتحار وتحديد الفئات العمرية الأكثر تعرضا له والكشف عن الوسائل المستعملة للإقدام عليه .

فإشكالية البحث تتمحور في الكشف عن الأسباب والعوامل التي تساهم في ظهور الانتحار ومدى تأثير ذلك على المجتمع. فلقد اخترنا المنهج الوصفي التحليلي حيث اعتمدنا على أداة منهجية وهي المقابلة، دراسة الحالات وتحليل مضمون المقابلات.

توصلنا إلى أن هناك بعض العوامل التي تساهم في الإقدام على الانتحار أهمها

ظاهرة الانتحار ظاهرة عامة تمس كل مناطق ولاية بجاية وليس منطقة دون الأخرى. أن للمشاكل الاقتصادية كالبطالة والفقر, التفكك الأسري ,غياب الاتصال وانتشار السلوكات الإنحرافية من الأسباب الرئيسية التي تساهم في الانتحار.

فيما يخص الوسيلة المستعملة فتوصلنا إلى النتيجة التالية، فالمنتحرات تلجأن إلى استخدام وسائل سهلة كتناول الأدوية والمواد السامة، بينما يفضل المنتحر الموت البطيء عن طريق الشنق، السلاح الناري، القفز من العلو.

الانتحار,الفعل الانتحار, التفكك الأسري.

Abstract

Suicide is a phenomenon that is considered among the great problems humanity suffers. According to statistics there are 3000 cases of suicide in the world. It is classified 95 in the world, with 1.30 per 100 thousand inhabitants. Bejaia being in the forefront with 99 cases of suicide recorded in 2004.The aim of our study is to determine, the age group most affected by this phenomenon and to discover the means used to perform this act. our problematic is to discover the reasons and the factors that contribute to suicide and its impact on society.

To carry out this study we have chosen the analytical descriptive method .This study is based on methodological tools, interview, case study and analysis of content of the interviews .it is concluded that there are some factors leading to suicide among them, the phenomenon of suicide is a general phenomenon, it affects all the regions of Bejaia and not one region without the other. Family disintegration lack of communication and delinquency are important factors leading to suicide. Concerning the tools used , females use easy means like poison while males prefer hanging, shooting onesself, and jump from altitude.

Suicide , suicide act, family disintegration.

I. تمهيد:

الانتحار ظاهرة إنسانية عامة لا يخلو أي مجتمع منها منذ أن خلق الله البشرية، وحتى يومنا هذا، ولقد شهد العالم ولا يزال يشهد اهتماما بالغا لهذه الظاهرة التي أخذت تتزايد يوما بعد يوم، خصوصا بعد انتشار الفوضى الاجتماعية أو السياسية أم نتيجة للحروب المستمرة التي تهدد قيم المجتمعات جميعا. (عبد الله الرشود 2006 ص 6)

وقد عرف "دوركايم" الانتحار بأنه: "كل حالات موت التي تنتج بشكل مباشر أو غير مباشر من فعل سلبي أو إيجابي ينفده الضحية نفسه و هو يعرف أن هذا الفعل يصل به إلى هذه النتيجة أي الموت(p51960Emil Durkheim)و المجتمع الجزائري من بين المجتمعات العربية التي تعرف تزايد لهذه الظاهرة، فيكفي أن نطلع على الجرائد الوطنية اليومية و ما تكشفه من إحصائيات متزايدة باستمرار لحالات الانتحار و محاولته و هذا راجع للمتغيرات السريعة و المتلاحقة التي شاهدتها الجزائر نتيجة التنمية التي ترتب عليها تغيرات اجتماعية و ثقافية سريعة و عميقة، مما يشكل بيئة ملائمة لمظاهر التفكك الاجتماعي.

لقد بلغ عدد المنتحرين في الجزائر عام 2007، 267 حالة، حسب إحصائيات المديرية العامة للحماية المدنية واحتلت بجاية المرتبة الأولى وطنيا ب 30 حالة انتحار تليها الجزائر العاصمة (عبد الحفيظ معوشة 2008 ص 98)

هناك عدة دراسات سابقة تناولت ظاهرة الانتحار عبر مختلف بيئات العالم منها الدراسة الشهيرة " لدوركايم" عام 1897 الذي يرى بأن العوامل كالفقر والأمراض النفسية والعقلية والظروف المعيشية ليس لها تأثير في المرور للفعل الانتحاري، في حين تبين الدراسات الحديثة أن هناك علاقة وطيدة بين هذه العوامل وهذا ما توصلت إليه دراستنا.

وتتفق مع دراسة دوركايمو التي ترى أن الأزمات الاقتصادية تساهم في ارتفاع نسبة معدلات الانتحار، نفس الشيء الذي حدث في المجتمع الجزائري في بداية 1997، عندما تسببت الأزمة الاقتصادية في خوصصة المؤسسات العمومية وتسريح العمال نتيجة العجز المالي وكذا تفشي ظاهرة البطالة بسبب ضعف سوق العمل، أدى بالعديد منهم للإقبال على الفعل الانتحاري.

أكدت دراسة سمعان مكرم على التأثير الكبير للأمراض النفسية والعقلية والظروف المعيشية والخلافات العائلية و المشاكل العاطفية في مرور بعض الأشخاص للفعل الانتحار في المجتمع المصري، حيث توصل إلى أن محاولات الانتحار تنتشر بين النساء أكثر من الرجال، كما توصل إلى نتيجة تتفق مع دراستنا الحالية بأن نسبة الانتحار ترتفع كلما زاد نصيب الأشخاص من التعليم.

وتختلف دراستنا مع هذه الدراسة في حدود الفترة الزمنية والمكانية والعينة المستخدمة في الدراسة.

لقد أحصت أجهزة الدرك الوطني في الجزائر خلال عام 2011 ما يقل عن 1860 محاولة انتحار و330 حالة انتحار عبر مختلف ولايات الوطن، وتكشف الدراسات أن أغلب المنتحرين فضلوا الموت شنقا.

وسنحاول من خلال بحثنا هذا معالجة هذه الظاهرة ونلقي الضوء على الأسباب والعوامل الاجتماعية، الاقتصادية الدافعة للانتحار في مجتمعنا الجزائري.

وعليه فإن إشكالية بحثنا تتمحور في كشف الأسباب والعوامل التي تساهم في ظهور الانتحار ومدى تأثير ذلك على المجتمع في ظل التغيرات الكثيرة و المتسارعة التي تعيشها الجزائر على جميع الأصعدة.

وعليه فالفرضيات التي تقوم عليها هذه الدراسة هي:

1-بروز الفعل الانتحاري يفسر بالعوامل السوسيو اقتصادية (الظروف المعيشية الصعبة، العزلة الاجتماعية، الفقر، البطالة، الأزمات المالية ...).

2-توجد علاقة إرتباطية بين الوسط الأسري المتصدع (الطلاق، وفاة أحد الوالدين، العنف، الخصام العائلي، الانحرافات سلوكية...) والفعل الانتحاري.

3-هناك تباين في نوعية الوسائل المستخدمة في الانتحار وبعض العوامل السوسيو ديموغرافية (الجنس، السن، الأصل الجغرافي.....).

فيما يخص الدراسات الجزائرية، اعتمدنا على دراسة الباحث فريدكاشا، أن المجتمع الجزائري يوصفه مجتمع ريفي أكثر منه حضري ومجتمع تقليدي، فإن نسبة الانتحار جد منخفضة في الفترة الاستعمارية برغم من الظروف المعيشية الصعبة، و لكن بعد التغيير الذي طرأ على المجتمع الجزائري بعد الاستقلال فإن نسبة الانتحار ارتفعت، و يعود سبب ارتفاعها بالدرجة الأولى حسب النتائج التي توصل إليها فريد كاشا إلى الخلافات العائلية، و كذلك ظاهرة الطلاق حيث تتفق مع النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا هذه، حيث للتفكك الأسري دوراكبيرا في تفشي ظاهرة الانتحار.

ولقد توصلت دراسة الباحثة ثكفي كلثوم إلى أن أغلب المنتحرين من فئة الشباب وهذا ما يتفق مع النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا.

كما نتفق مع الدراستين للباحثان، سواكري الطاهر وبوالفلفل إبراهيم، حيث توصلا بأن العوامل الاقتصادية كضيق السكن وضعف التواصل الاجتماعي داخل الأسرة من العوامل المؤدية للانتحار.

وتختلف في حدود الفترة الزمنية والمكانية للدراسة، إضافة إلى العينة المستخدمة.

ونستفيد من الدراسات السابقة في النظريات التي تناولت الانتحار.

1-1 لمحة تاريخية على ظاهرة الانتحار : تشير أدبيات ظاهرة الانتحار إلى أنه ظاهرة إنسانية عامة صاحبة الوجود البشري منذ القديم وحتى يومناهذا، وجد منذ أن عرف الإنسان معنى الحياة والموت ودراسة الانتحار بين المجتمعات البدائية والمتوحشة القديمة يساعد على فهم مشكلة الانتحار بصفة عامة لكن قلة الدراسات عن هذه المجتمعات تعيق الباحثين نوعا ما حيث اهتم "شتاينمتز" أحد أبرز العلماء الأجناس بموضوع الانتحار وخرج برأي أو انطباع أن "ميل البدائيين والمتوحشين للانتحار هو أكثر من المتحضرين".

وأنه لا يوجد جنس متحضر يظهر ميل إلا انتحار جماعي متعمد، بينما نجد كثيرا من الأجناس البدائية أظهرت أحيانا أن تلك الميول مما يصعب على المتحضر إدراكه (فخري الدبا ع ،1968 ص 25).

و لعل أنق الدراسات الانتروبولوجية هي دراسة "كوتي وويسي" عن أربع مائة مجتمع بدائي في جميع أنحاء العالم، فتوصلا إلى أن الثقافات القديمة و المجتمعات البدائية تعتبر كدليل لتعزيز الرأي القائل بأن الانتحار قديم قدم العنصر البشري و عريق علاقة الموت و بداية اعتبار الانتحار إثما و فعلا مشهجنا وشنيعا في القرن الخامس ميلادي عندما هاجم القديس "سانت اغسطوس" الانتحار فقد لاقت المسيحية صعوبة بدأ انتشارها عندما احتكت ثقافتها مع المتوحشين عموما فإن الرجل البدائي لا يهاب الموت و الانتحار لديه ليس شيء طبيعيا فحسب بل نهاية موجودة لوجوده على الأرض (المرجع السابق ص26)

كما كشفت البحوث الانتروبولوجية على انتشار السلوك الانتحاري في كثير من المجتمعات البدائية، وقد أشار "مالينوفسكي" إلى انتشار الانتحار لدى قبائل جزر التروبريوند وأكد كذلك "بينيديكت"benedict لدى جماعات الدوبو في جنوب المحيط الباسيفيكي وعند جماعات الكواكبوتيل في شمال غرب كندا.

ففي جماعات الوايوفي افريقيا كان المعتدي على المحارم يرغم على الانتحار أما شمال اسيا ولدى جماعات "الاسكيمو" يقتل المسنين والمرضى على الانتحار في أوقات نقص الطعام.

ويعرف قبائل الهنود في أمريكا الشمالية نوعا من الانتحار يعبر عن الشرف، وهو أن ينتحر الخدم والحجاب عند وفاة سيدهم ويدفنون معه في مقبرة واحدة.

وفي قبائل أمريكا الوسطى يقتضي موت الرئيس أن يقتل زوجاته وأقاربه وجواريه وأصدقاؤه على الانتحار الإرادي.

أما في الشرق الأقصى فتنتحر الأرملة في الهند تأكيدا على حبها وإخلاصها لزوجها الراحل. وفي اليابان إشتهرت جماعات الساموراي بنظام تنفيذ الانتحار تبعا لطقوس خاصة وفي حقل جماعي حيث كانت الطبقة العليا في هذه الجماعات تقدم على الانتحار تخلصا من المأساة وسوء السمعة، كما عرف نظام الانتحار الفدائي "كاميكاز" خلال الحرب العالمية الثانية (مكرم سمعان 1964 ص28).

لقد أصبح الانتحار في المجتمعات الحديثة ينظر إليه بنظرة مخالفة حيث تواجهه بوصفه مشكلة تثير الجزع والقلق على مستويات منها الاجتماعية والأخلاقية والدينية إلى حد التحريم القانوني للسلوك الانتحاري في كل مراحله وعقاب من يسلك هذا السلوك واتخاذ تدابير(قانونية) ضده وضد متعلقاته وتبعا لذلك فقد اتخذت التشريعات أحد الاتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى في الانتحار سلوكا فرديا يأتيه الفرد بكل سلطانه على ذاته، فلم تنص القوانين على عقابه، ولكن تقوم السلطات بالتحقيق للتأكد بأن الفرد نفذ الانتحار بنفسه دون تحريض من أخر أو مساعدته، وهذا الاتجاه سائد في بعض البلدان. كمصر، والولايات المتحدة الأمريكية، وبعض دول أوروبا.

الاتجاه الثاني: يعد الانتحار في ذاته فعلا غير أخلاقي قد تستهجنه الجماعات وتنكره السلطة الدينية وحيث أن الشخصية الإنسانية مقدسة، فمن الضروري أن يعاقب القانون عليه دون استثناء ومن البلدان، إنجلترا، فرنسا وإيطاليا يسودها الاتجاهان (سمعان مكرم المرجع السابق ص 31-32)

أما في البلدان العربية والمجتمع الإسلامي فالتشريعات القرآنية واضحة في هذا المجال تؤكد أن الانتحار جريمة تدينها لأنها تمس الذات الإنسانية التي حرم الله قتلها إلا بالحق، فالذات الإنسانية مكرمة لا يحق له حتى مجرد تعذيبها فكيف بإزهاقها.

وفي القرن التاسع عشر ظهرت دراسات عن الانتحار أدت إلى ظهور علم جديد هو علم الانتحار "suicidologie" بقيادة الأمريكي "شنيدمان" " shnidmen" كما ظهرت مراكز عالمية ومحلية للوقاية من الانتحار.

وأيا كان الأمر، فلانتحار ظاهرة طبيعية في سلوك الإنسان تحدث في المجتمعات والثقافات، وإن كانت تختلف في تقسيمها واستنكارها له إلا أن الانتحار يسهم بشكل مقلق في تدمير الطاقات الإنتاجية يوجه عام (إسماعيل يامنة 2017 ص185),

2-1 تفسير الانتحار

التفسير الاجتماعي للانتحار: هناك أسباب اجتماعية للانتحار فسرها عالم الاجتماع "إميل دوركايم" حيث عزا هذا الفعل إلى تكسير الروابط الاجتماعية والانعزال، وقد تؤثر عوامل الضغوط النفسية وعدم القدرة على كبحها وخاصة الفقر والبطالة.

تقع كل هذه الدراسات في مجرى (الإحصاء الأخلاقي) كونها تتناول جميعها الانتظام والتغير والفروقات في معدلات الانتحار كما تلاحظها الإحصاءات الرسمية (ليون ميناردص98).

وقد تكون هناك أسباب أخرى للانتحار مثل ضعف الضمير وعدم القدرة على التكيف مع المجتمع. حيث الصراع بين الداخل والخارج وعدم الالتفات إلى العوامل الحضارية الاجتماعية.

إن كتاب الانتحار "لدوركايم" هو بتأكيد المؤلف الأساسي الصادر عن تيار لإحصاء الأخلاقي وكان أول من تعرض لتحديد مفهوم الانتحار وأعراض السلوك الانتحاري.

إعتبر دوركايم الانتحار ظاهرة اجتماعية بل دلالة عن طبيعة الأخلاق السائدة في مجتمع معين، وبذالك عارض ورفض بشدة التفسيرات السائدة في القرن التاسع عشر والمتمثلة في دور الوراثة والجنون والمناخ وتقليد الأخر في انتحاره.

فالانتحار يتغير ويتأثر بطريقة معاكسة لتكامل المجموعات الاجتماعية فيما بينها بناء على أن الفرد جزء لا يتجزأ من تكوين هذه المجموعات الاجتماعية. فعندما تكون الجماعة متماسكة لتنظيم العلاقات بين الأفراد، بمعنى أخر فالجماعة تعمل على مساعدة الأفراد في إيجاد السبل الناجحة لتحقيق ما يصبون إليه من ثم نسبة الانتحار في مثل هذه المجتمعات (أحمد عباش 2003 ص41)

وبالفعل تتوافق الدورات الفصلية لانتحار بدورات أسبوعية ودورات يومية الأولى وحدها يمكن أن ترتبط بتأثير هذا النمط، وهذه الفرصة أيضا يقتضي رفضها ليس إلا أن الدورات الفصلية للانتحار أكثر بروزا في الريف منها في المدينة.

حينئذ يوسع "دوركايم" نظريته الشهيرة في الأنماط الأربعة للانتحار، أن تكيف الفرد مع المجتمع يفترض ألا تكون التفردية فظة جدا أو قصوى جدا تولد فردية مفرطة.

يسميها "دوركايم" بالأنانية وعندما يميل الفرد إلى الانقطاع عن المحيط والاعتزال فإن الانتحار هنا ينبع من النمط الأناني وإذا كانت التفردية جدا فإن الانتحار من النمط الغيري يصبح أكثر حدوث (ثابت ياسر 2012 ص37)

ومن جهة أخرى يفترض التوازن بين الفرد والمجتمع ألا تكون الضوابط الاجتماعية إكراهية جدا ولا قليلة الإكراه تساهم في حدوث انتحارات من النمط القدري، وإذا أخذنا مثلا لاحقا لدوركايم فإن الانتحار "الكامكاز" من هذا النمط وأن الضوابط القليلة الإكراه تتوافق بتطور الانتحار من النمط الإرتباكي إلى الأنانية (المرجع السابق ص37)

خلص "دوركايم" أن ثمة قوى اجتماعية خارجة عن نطاق الفرد تؤثر في معدلات الانتحار، وربط هذا التفسير بمفهوم التضامن الاجتماعي وبنوعين من الروابط داخل المجتمع هما: التكامل الاجتماعي التنظيم الاجتماعي، وكان رأي "دوركايم" أن الأشخاص الذين يدمجون بقوة في المجموعات الاجتماعية والذين تنظم تطلعاتهم المعايير الاجتماعية هم أقل ميلا للانتحار، ورسم الملامح الرئيسية لأربعة أنواع من الانتحار اعتمادا على الوجود والغياب النسبيين لتكامل والتنظيم (انتونيغديز 2005 ص66).

الانتحار الأناني: يتميز بانخفاض درجة التكامل في المجتمع و يقع عندما يعاني الفرد من العزلة أو عندما تضعف أو تنقطع علاقاته أو علاقتها مع المجموعة، و على سبيل المثال فإنه يمكن تفسير انخفاض معدلات الانتحار بين الكاثوليك بارتفاع درجة التماسك في الجماعة، بينما تعني الحرية الشخصية و الأخلاقية لدى لبروتستانت أن المرء يقف بمفرده أمام الله، كما يحاول الزواج دون الانتحار لأنه يدمج الفرد في شبكة من العلاقات الاجتماعية المستمرة، بينما يعيش العازبون في عزلة نسبية في المجتمع و يرى "دوركايم" أنه يمكن أن يغزو انخفاض الاجتماعي، و ذلك يوضح علاقة بين مختلف أشكال عدم اتزان الرابطة الاجتماعية و نسب الانتحار فالنموذج الذي اقترحه يرتكز على متغيرين اجتماعيين هما الاندماج و التنظيم أو الضبط.

الانتحار الايثاري: فيحدث عندما يكون المرء في حالة تكامل استثنائية مع مجتمعه أي عندما تكون الروابط الاجتماعية الشديدة القوة وتغلب قيم المجتمع على قيم الفرد مثل هذه الحالة يتخذ الانتحار طابع التضحية من أجل المصلحة العليا. ويمكن اعتبار الطيار الياباني الكاميكازي أو الاستشهاديين الإسلاميين نماذج من هذا النوع من الانتحار الاثاريويرى «دوركايم" أن مثل هذه الأفعال هي من الخصائص المجتمعات التقليدية التي يغلب عليها التضامن الآلي (نفس المرجع ص67)

ومن هنا فإن الانتحار الاثاري هو شكل من أشكال التكامل الاجتماعي القوي الذي يمتص النزعة الفردية يدعو إليه الفكر الاجتماعي وتشجعه جماعة. حيث يرى الفرد أن بقاء الجماعة أولى من بقائه و حتى الوجود (طاوس وازي2012 ص67) .

الانتحار الأنومي: ناجم عن غياب التنظيم الاجتماعي ويعني دوركايم بذلك أن الأوضاع الاجتماعية في حالة الضياع تحرم الناس من المعايير بسبب التغير السريع أو شيوع عدم الاستقرار في المجتمع، أن فقدان المرجعيات يتحكم إليها المرء في رغباته وميوله،كما يحدث عادة في حالات الخلل الاقتصادي أو المعانات الشخصية عند الطلاق، قد يؤدي إلى اختلال التوازن بين ظروف الناس من جهة وتطلعاتهم من جهة أخرى (انتونيغديزالمرجع السابق ص67).
اعتبر دوركايم أن ظاهرة الانتحار ظاهرة اجتماعية محصنة يشير إلى طبيعة الأخلاق السائدة التي ينفرد بها كل مجتمع من آخر قدس "دوركايم" مكانة المجتمع وأهمل دور الفرد ووزنه في استمرارية المجتمع إلى درجة أنه قال"أن الفرد يعيش في المجتمع وبالمجتمع ومن أجل المجتمع (طاوس وازي المرجع السابق ص68)

الانتحار القدري: ورغم أن دوركايم لم يلتمس علاقة وأهمية لهذا النوع بما كان عليه مجتمعه آنذاك، إلا أنه اعتبره ناتجا لوضع يكون فيه المرء واقعا تحت وطأة التنظيم الاجتماعي القاهر وفي مثل هذه الحالة من العجز الكامل أمام القدر والمجتمع.

إن انتشار ظاهرة الانتحار في المجتمعات الصناعية يعكس هشاشة النسيج الاجتماعي وضعف علاقات الأفراد ببعضهم البعض وغياب الشعور بالانتماء إلى المجتمع حسب دوركايم فيعيش معزولا عن الإطار الاجتماعي للمجتمع، إذ يفعل ما يشاء ويسعى فقط لتلبية وإشباع حاجياته، فعندما يصاب الفرد بصدمة عاطفية، مالية، اجتماعية فإنه مباشرة يفكر في الانسحاب من الوجود لأنه يشعر بالارتباط مع أية فئة اجتماعية بما أن علاقته بالمجتمع كانت مبنية على المصلحة الخاصة والنزعة الفردية والأنانية المطلقة (نفس المرجع ص65).

التفسير النفسي للانتحار: يعود الانتحار حسب النظرية النفسية إلى طيات التكوين النفسي ومن رواد هذه المقاربة حسب مدرسة التحليل النفسي "سغموند فرويد" حيث فسر شرح النفس وكذا العوامل والدوافع المسيرة لها، وعرف كيف يسير أغوارها ويغوص في أعماقها ويدقق في تحليلها (أحمد عياش2003 ص121).

وخرج "فرويد" بنظرية سماها "الحزن" أو الحداد والاكتئاب ومودي هذه النظرية أن الإنسان يولد وهو مجموعة من الغرائز وميول غير معقولة وغير اجتماعية سماها (Id) وباحتكاك الطفل بمحيطه وواقعه بما فيه من عقبات والألم ووحيور ورفاه، يدرك واقعه شيئا فشيئا، ويعي نفسه بالنسبة لغيره، وحينذاك تتكون الشخصية العاقلة الواقعية وهي الأنا وفي بضع سنين تتعلق أفكار وعواطف الإنسان بمثل عليا وشخصيات مرموقة يتطلع إليه بإجلال واحترام وهي شخصيات أبوية ومصدر المحبة والألم وبالتالي يتكون القسم المثالي الكمالي (S.ego) الضمير المتطلع في الكمال ويتقمص ويمتص شخوصه وآماله(فايد حسين 2001 العدوان والاكتئاب ص290).

كما اعتبر "فرويد" الانتحار ظاهرة نفسية داخلية وقدم تفسيراته للسلوك الانتحاري على افتراض أساسي يمكن في التكوين النفسي، ويتضمنه غريزتين متصارعتين هما غريزة الحياة وغريزة الموت حيث أن الأولى هي مصدر كل فعل خلاق ومصدر السلوك البناء وكل سلوك عدواني وقد سلم "فرويد" بغلبة غريزة الموت في النهاية بفضل ما تولده من ميول سادومازوخية فتزداد الكراهية والعدوان والتدمير إلى الأنا، ولذلك فهو يرى أن الانتحار غالبا ما يكون حصيلة منطقية للمرض السوداوي (فايد حسن 2004 ص293).

بينما يعتبر "أوتوفينجل" (frenckel) 1969عن الانتحار بوصفه انقلابا للسادية ضد الشخص نفسه، و خاصة في انتحار مريض الاكتئاب و ضد الرأي يكون من وجهة نظر الأنا الأعلى، حيث يتحقق في الانتحار الاكتئابي الرأي القائل بأن مامنأحد يقتل نفسه مالم يسبق له أن نوى قتل شخص أخر، أما من وجهة نظر الأنا فالانتحار يعبر عن الحقيقة مؤداها أن التوتر الشنيع الذي يولده ضغط الأنا الأعلى أصبح لا يحتمل، كما أن الأنا ترى نفسها و قد تخلت الأنا الأعلى عنها و حتى تم تسليم نفسها وقد تخلت الأنا الأعلى عنها ومن ثم تسلم نفسها للموت (نفس المرجع ص293).

وقد أسهم الدكتور "كارل مننجر" "K.Menninger" ساهمة فعالة في تفسير السلوك الانتحاري و يقدم بتفسير الفرويدي خطوة هامة، وذلك بما قام به من تنمية لفرويد الأساسية و إثرائها من خبرته العيادية الواسعة، و تحديد عناصر النظرية، و لذلك يكاد "مننجز" أن يكون المحلل النفسي الوحيد الذي احتفظ بمفهوم غريزة الموت"الفرويدية" وأحياها في التحليل النفسي من جديد و يتخلص تفسير "مننجز"للانتحار بأنه نوع خاص من الموت يتضمن عناصر ثلاثة تشتق وجودها و ديناميكيتها من الافتراض الثلاثي لجهاز الشخصية عند"فرويد" (سمعان مكرم المرجع السابق ص65) .تتمثل في مجموعة من الرغبات هي:

-رغبة أن أقتل: تصدر عن الأنا لأنها إحدى جوانب نشاطه ومضمون هذه الرغبة نزعة عدوانية ووجدان مشحون بالكراهية ورغبات في اتهام الأخر وتوبيخه وعزلهوالتخلص منهوإبادتهو الانتقاممنه

- رغبة في أن يقتل: وهي رغبة تشتق وجودها من طبيعة تكوين الأنا الأعلى فإن شدة وجدان ألاثم وما يتبعه من توبيخ واتهام ذاتي يكشفان عن حاجة ملحة إلى العقاب ولذلك فهي تتضمن النزعات المازوشية من استمتاع بالخضوع والانهزام وتلذذ بالألم

-الرغبة في الموت: وترحيب بالموت و هي تتولد في الهو (Id) يوجه عام و غريزة الموت و التدمير بخاصة ومضمون هذه الرغبة شعور أساسي باليأس و الضياع و يسانده وجدان الخوف و تثبيط الهمة و الخيبة و إحساس عام بالتعب (Marie,Bardet. 2000.P.21).

و بناء على ما سبق، فإن نظرية التحليل النفسي للانتحار ترى أن شخصية المنتحر تعب رعن تناقض صارخ وشديد يتراوح بين مشاعر الحب و الكراهية مما يولد نزعة عدائية تراكمية تنتهي برغبة ملحة و جامحة بالقتل و الموت (طاوس وازي 2012 ص62 –74) و هذا ما أشار إليه "ويرزبيكي" (Wierz- Bicki) بأن محاولة الانتحار مرتبطة بتغيرات سلوكية و نفسية معينة مثل الاكتئاب و الشعور بالوحدة النفسية، و ضغوط الحياة الشديدة و الألم أو المرض، والفقر الحديث لأي شخص أو شيء عزيز و استخدام المخدرات والكحول، و إذا كان الاكتئاب يعتبر أقوى منبىء بالنسب لتصور الانتحار عن المتغيرات النسبية الأخرى المعينة في الدراسات السابقة، إلا أن هذا أثار جدلا كبيرا بين الباحثين، حيث أنه لابد أن يصاحب اليأس و الاكتئاب حتى تزداد احتمالية وقوع الانتحار.

I- الطريقة والأدوات:

منهج الدراسة: في ضوء أهداف الدراسة وتساؤلاتها، قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي لا يقتصر على وصف الظاهرة أو المشكلة بل يتعداه إلى أبعد من ذلك، فيحلل ويفسر ويربط بين مدلولاتها. للوصول إلى الاستنتاجات التي تسهم في فهم الوضع بموضوع الدراسة وتطويره، وذلك بالاستخدام منهج دراسة حالات الذي يدرس بعض المواقف في عمقها لعدد صغير من الحالات.

أدوات الدراسة: اعتمدنا على تقنية المقابلة لجمع المعطيات اللازمة، وأهم ما دفعنا للاختيار هذه التقنية صغر حجم العينة وقد تم اعتماد كذلك على تقنية تحليل المضمون. فهي تقنية مباشرة للتقصي العلمي، تطبق على مواد مكتوبة، المسموعة أو المرئية، وحاولنا من خلال تحلينا لمحتوى المقابلات إلى تحديد الأسباب والعوامل والظروف التي تتحكم في ظاهرة الانتحار.

مجتمع الدراسة: اشتمل مجتمع الدراسة على المنتحرين من جميع نواحي ولاية بجاية وكذا بعض القرى المجاورة، وذلك بحسب الإمكانيات التي تهيأت لهذا البحث من وقت وجهد وإمكانية على الاتصال.

عينة الدراسة: لقد قمنا باختيار العينة بطريقة عشوائية والتي تكونت من 16 حالة، وذلك للصعوبة الحصول على معلومات عن المنتحرين والمنتحرات، وكذا نظرا للصعوبة الاتصال بمحيط المنتحرين وعدم موافقة بعضهم إجراء مقابلة معنا.

II- النتائج ومناقشتها:

عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الأولى: تنص الفرضية الأولى على ما يلي:

بروز الفعل الانتحاري يفسر بالعوامل السوسيو اقتصادية(الظروف المعيشية الصعبة، العزلة الاجتماعية، الفقر، البطالة، الأزمات المالية....)

لقد تبين لنا من خلال تحليانا لمضمون المقبلات أن معظم المنتحرين كانوا يعانون من أزمات اقتصادية، عجزوا عن تجاوزها، أسهمت في المرور للفعل الانتحاري معظم أسر المنتحرين فقيرة، أنهكها العوز من تحقيق الاستقرار المادي والنفسي الذي يحقق الشعور بالأمن والطمأنينة وفقدان الجو العائلي الصالح السليم.

فعدم قدرة وإخفاق المحيط الأسري في مد يد العون للمنتحرين لتجاوز صعوبات الحياة الاقتصادية المزرية أوصلهم إلى مرحلة من الضعف والهشاشة جعل من اختيار الفعل الانتحاري أكثر حضورا من غيره من الاختيارات.

فضعف الحالة الاقتصادية حال دون أن تعيش هذه الحالات بكرامة التي تعتبر من أهم القيم التي تضمن الإنسان حب الحياة، غير أن فقدانها قد يؤدي بالفرد إلى اللامبالاة بفقدان الحياة نفسها.

وهذا يقودنا حسب المدرسة الاجتماعية أن هناك أسباب اجتماعية للانتحار فسرها "دوركايم" حيث عز هذا الفعل إلى تكسير الروابط الاجتماعية والانعزال وقد تؤثر عوامل الضغوطات النفسية وعدم القدرة على كبحها وخاصة الفقر و البطالة فالمعاناة التي عايشتها الحالات من البطالة، أزمة سكن، وكذا غياب أي تضامن اجتماعي دفع بهم إلى الشعور بالعزلة والتهميش ومواجهة هذا الواقع وحيدا، مما جعلهم يلجئون إلى الانتحار.

كما تتفق النتيجة التي توصل إليها الباحث "مكرم سمعان" في دراسته بأن الانتحار في مهر عليا بين العاطلين والذين لا تتوفر لديهم الطمأنينة والاستقرار في العمل مع نتيجة التي توصلنا إليها في دراستنا وبالتالي تلعب العوامل السوسيو اقتصادية دور مهما في تهيئة الأفراد ودفعهم نحو الفعل الانتحاري.

فالعزلة والتهميش الاجتماعي، البطالةو الفقر كلها عوامل ساهمت في دفع مبحوثتنا للفعل الانتحاري.

عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثانية : تنص الفرضية الثانية على ما يلي:

توجد علاقة إرتباطية بين الوسط الأسري المتصدع (الطلاق، وفاة أحد الوالدين، العنف الأسري، الخصام العائلي، انحرافات سلوكية داخل الأسرة .....) والفعل الانتحاري.

لقد توصلنا من خلال تحليل لمضمون المقابلات بأن معظم الحالات تعاني من التفكك الأسري سواء عن طريق الطلاق أو وفاة أحد الوالدين، وكذا وجود انحرافات سلوكية داخل الأسرة، ضف إلى ذلك العنف الأسري الذي تعاني منه الفتيات من طرف إما الأب المتسلط أو الأخ الأكبر.

فبدلا من أن تكون الأسرة الوعاء الذي تفرغ فيه هذه الحالات كل همومهم وأحزانهم بالمناقشةوالحوار لإجادة الحلول الممكنة، أصبحت أسر المنتحرين تشكل عليهم إرهابا معنويا للتعبير والتحاور، وبالتالي فقدان الهدوء والسكينة لكثرة المشاحنات والخصومات مما أدى بهم إلى الشعور بأنهم مرفوضين ومنبوذين من أقرب الناس إليهم، وضعية جعلتهم غير قادرين على مواجهة مشاكل ومصاعب الحياة مواجهة سليمة الأمر الذي أدى بهم إلى الشعور بعدم الأمن والاستقرار وأدخلهم في دائرة العزلة واليأس.

هذا ما توصلت إليه الباحثة "تكفي كلتوم" إن المشكل الأساسي الذي يعاني الإنسان الجزائري في مجتمعنا اليوم هو عدم الاستقرار في أسرته مهما كانت المكانة التي تحتلها في الأسرة والدور الذي تلعبه فيه فهو لا يشعر بالاستقرار أو الأمان الذي من المفروض أن يوفرها الجو الأسري.

فبرودة العلاقة وضعف التواصل فيما بينهم وبين أسرهم سد أمامهم كل فرص الإفصاح عن مشاكلهم الأمر الذي ولد لديهم نوع من الكبت أدى بهم إلى الاكتئاب بدوره ساهم في مرورهم إلى الفعل الانتحاري.

ضف إلى ذلك إنتماء بعض أفراد الحالات إلى أسر يسودها السلوك الانحرافي الذي زاد من شعور هذه الحالات بعدم الاستقرار والأمان وجعلهم يرفضون التكيف مع هذا النوع من البيئة الاجتماعية.

فتخلي الأسر عن دورهم الحامي جعل أفرادها مهمشين لا يحسون بالدفء الأسري ويعلنون هزيمتهم أمام ضغوطات الحياة والصعوبات التي يعيشونها في حياتهم اليومية.

وهذا ما يجعل دراستنا تتفق مع دراسة "إميل دوركايم" بأن للتماسك الأسري دورها في تخفيض نسبة الانتحار، غير أن الأسر المفككة تجعل من أعضائها مهمشين لايحسون بالدفء السري.

كما توصلت الباحثة غبيب غنية إلى نفس ما توصلنا إليه من حيث علاقة التفكك الأسري بمحاولة الانتحار، حيث أشارت أن التفكك الأسري بسبب الطلاق أو وفاة أحد الوالدين، كثرة الشجار، القسوة، الإدمان على الكحول عوامل تسام في الانتحار الفعلي.

نستنتج بأن للوسط الأسري المتصدع، الخصام العائلي، انحرافات السلوكية داخل الأسرة لها علاقة ارتباطيه بالفعل الانتحاري.

عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثالثة: تنص الفرضية الثالثة على ما يلي:

هناك تباين في نوعية الوسائل المستخدمة في الانتحار أو بعض العوامل السوسيو ديموغرافية (الجنس، السن، الأصل الجغرافي ...).

إن العامل الرئيسي الذي يحدد فيها إذا كان السلوك الانتحاري مميتا غير مميت يتمثل بالطريقة التي اختيرت للانتحار والوسيلة المستعملة في ذلك، وهذا يختلف حسب البيئة ريفية أو حضرية. فمعظم المنتحرين يلجأون إلى وسيلة أكثر خطورة مثل الشنق، الأسلحة النارية، القفز من علو،

بينما تفضل المنتحرات وسائل الانتحار السهلة وتبعد عما يطيل المعانات مثل تناول أدوية مختلفة، المواد الكيماوية مثل مواد التنظيف والتطهير كروح الملح، ماء جافيل والتي تتميز بسهولة الحصول عليها فعادة لا يخلو بيت من هذه المواد.

ومن الملاحظ على سلوك المنتحرات أكثرهن استخدمن الأدوية في الانتحار، وهي وسائل الانتحار السهلة.

فالطريق التي يستخدمها المنتحر تدل حسب دراسات بأنها الوسيلة الأكثر دفاعية في محاولة الانتحار الناجحة لدى الاناث وذلك لأن الذكور يخافون من عدم المرغوبية الاجتماعية، كما يخافون أيضا أن يظهروا بمظهر الضعف بإعتبارهم إنتحارين (فايد حسين، 2004، ص 212).

فالوسيلة المستخدمة في الإقبال على الإنتحار هناك تركيز على وسيلة خاصة من طرف الذكور في المناطق الريفية أين توجد الغابات. فالإنتحار في المناطق المعزولة يحول دون إنقاض الضحية. ويعتبر كذلك السلاح الناري من أهم الوسائل المستعملة من طرف المنتحرين، يحصلون عليها بطرق مختلفة منهم عن طريق المهنة كالشرطي أو الدركي.

ويبقى القفز من الأماكن المرتفعة، البنايات والجسور من أكثر الوسائل شيوعا خاصة في المدن الكبرى، الانتحارات التي تعرفها ولاية بجاية غالبا ماتنفذ في ساحة "قيدون"

لقد تبين لنا من خلال دراستنا، أن الانتحار يكثر بين الفئة العمرية 18-34 سنة، أي فئة الشباب بإعتبار هذه الفئة هشة وتنقصها الخبرة في الحياة والعجز عن تحمل المسؤولية مما يجعلها أكثر عرضة للإنتحار.

فيما يخص علاقة الوسيلة المستخدمة في الإنتحار وسن المنتحر تبين لنا أن الميل لإستعمال وسيلة الشنق يزداد كلما زاد عمر المنتحرين،

أما الفقر فهي وسيلة استعملت أكثر عند فئة الشباب، ويجدر بالذكر أن المخدرات تعتبر طريقا للإنتحار يلجأ إليها فئة كبيرة من الشباب ما بين (20-32 سنة)

كما لاحظنا بأن وسيلة تناول المواد السامة والعقاقير أكثر استعمالا عند الفتيات التي تقل أعمارهن عن 25 سنة، بينما الفئة العمرية من الفتيات فأكثر يستعملن أداة حادة.

وتتفق دراستنا مع دراسة الباحث " سواكري الظاهر" بأن الذكور هم أكثر ميل للإنتحار من الإناث، أما فيما يخص الوسيلة المستعملة، فوسيلة الشنق هي أكثر استعمالا تقريبا عند كل الفئات العمرية، خاصة في المناطق الريفية التي تحتوي على الأشجار.

III- الخلاصة:

إن ظاهرة الانتحار أصبحت في عالمنا المعاصر من الظواهر التي يمكن وصفها بالخطيرة، إذ أنه تتعلق بأثمن شيء يملكه الإنسان وهو روحه ونفسه التي وهبها له الخالق جل جلاله.

وبناء على النتائج التي توصلنا إليها فإن هناك بعض العوامل التي تساهم في مرور الفرد للفعل الانتحاري، نذكر منها المشكلات الاقتصادية كالفقر والبطالة على الرغم من الشهادات والمؤهلات الجامعية، ضف إلى ذلك البيت المحطم وغياب الاتصال داخل الأسرة.

كما توصلنا أيضا بأن هذه الظاهرة تمس كل مناطق ولاية بجاية وليس منطقة دون الأخرة.

فالمنتحرة تلجأ إلى وسيلة الانتحار السهلة بينما يفضل المنتحر الموت البطيء.

وفي الأخير تعود إلى توسيع دائرة الأبحاث في مجال الانتحار وخاصة الدراسات الوقائية منها من أجل محاربة ظاهرة دخيلة على المجتمع الجزائري، وبناء على النتائج السابقة الذكر نقدم بعض الاقتراحات نلخصها فيما يلي:

1- إجراء دراسات مكثفة وعميقة حول ظاهرة الانتحار للوصول لمسبباتها والعوامل المؤثرة فيها.
2- وجوب توجيه الأسرة خاصة الوالدين بخطر الظاهرة وتسليط الضوء على العوامل المؤدية إليها لتفادي وقوع الفرد في خطر الإقبال عليها.
3- إن دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرة والمدرسة يعتبر حاسما في توفير عامل الحماية للشباب والمراهقين
4- خلق مراكز الاستقبال والاستماع تعتني بمشاكل كل الأفراد، وتهتم بالكفالة النفسية لذوي الميول الانتحارية..

الملاحق: تقديم بعض الحالات

الحالة الأولى

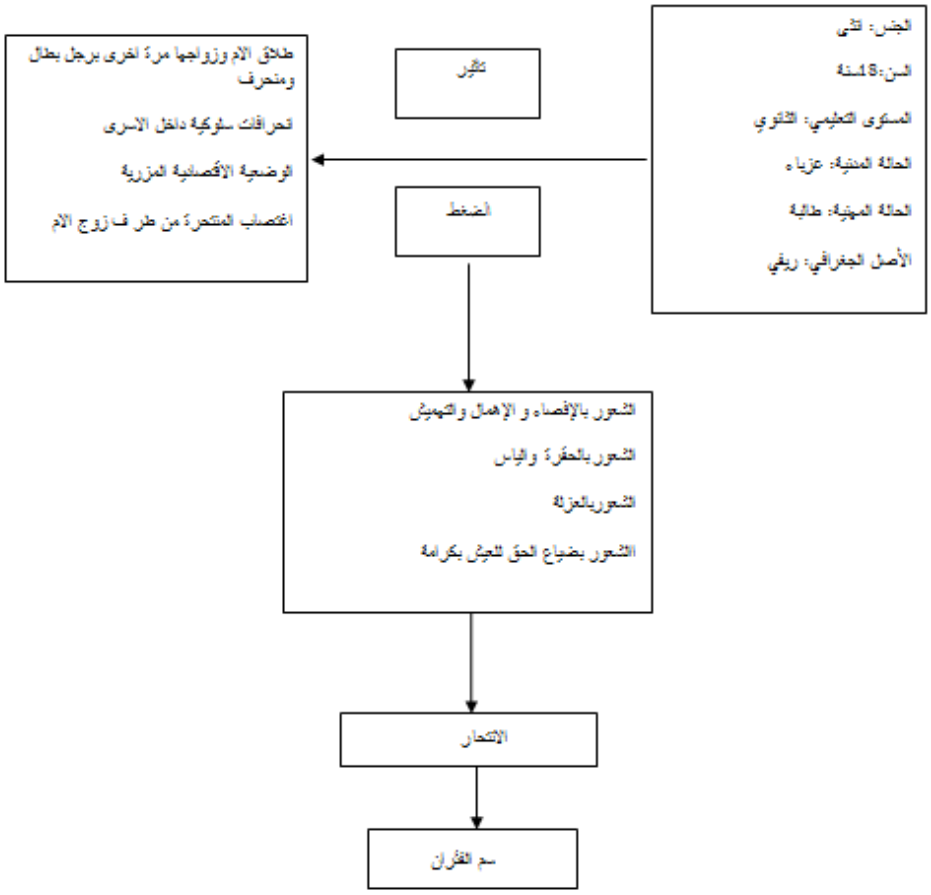

الحالة الثانية

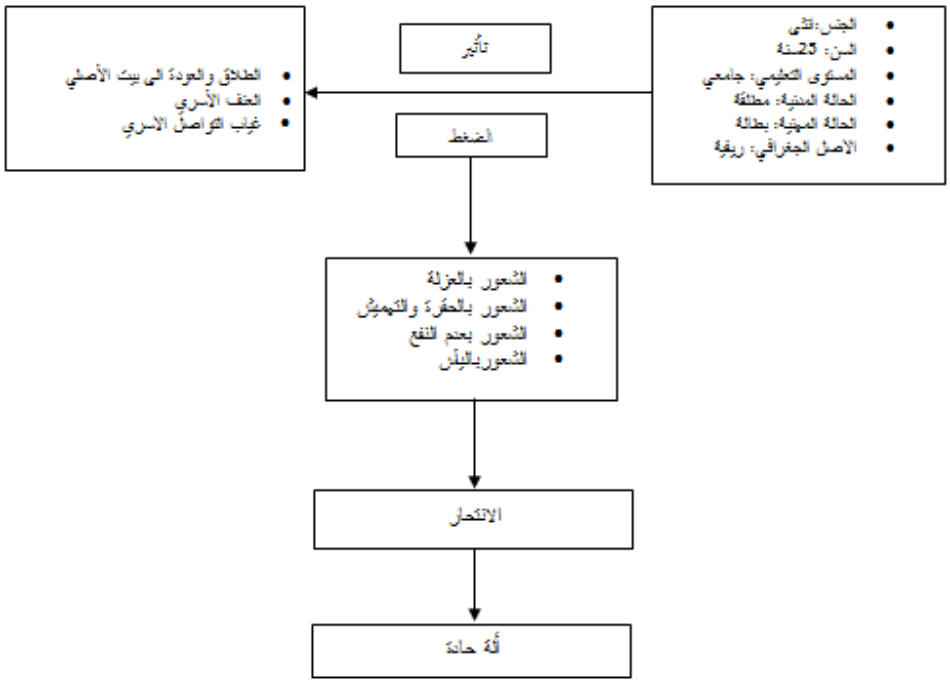

الحالة الثالثة

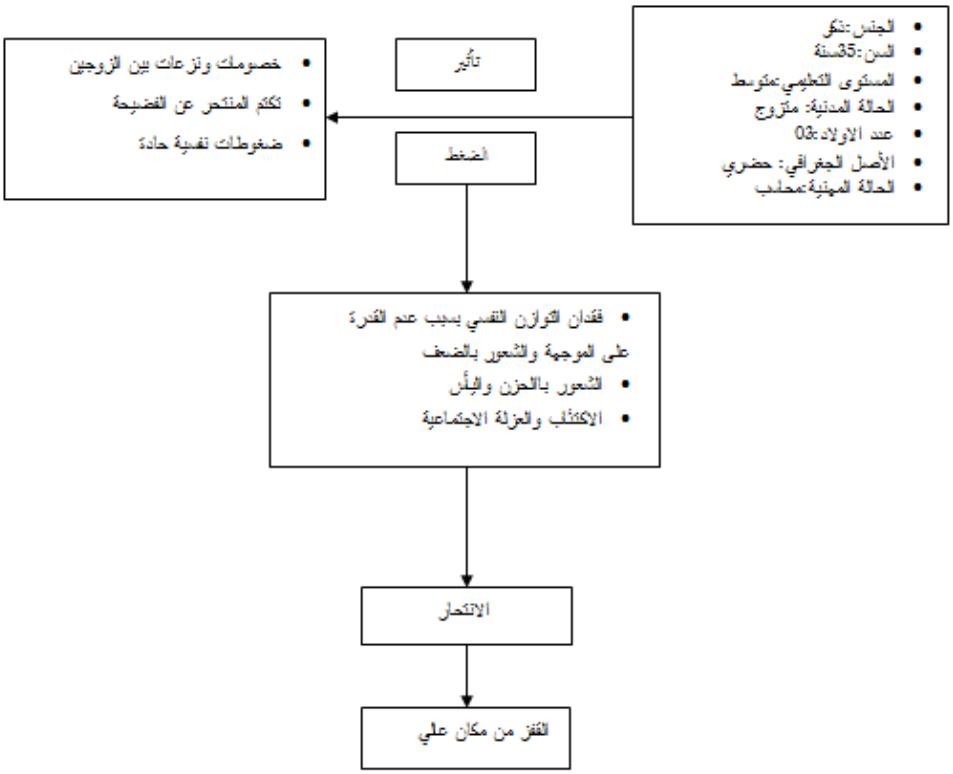

الحالة الربعة

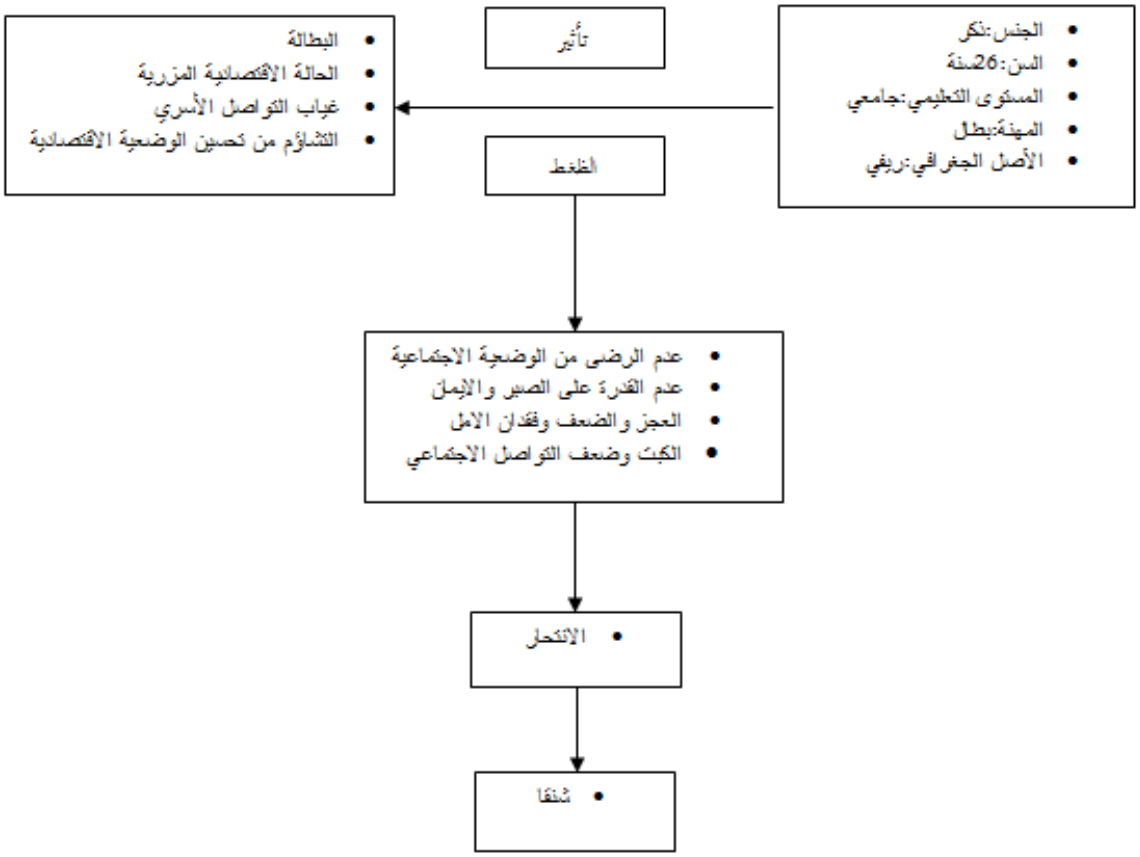

الإحالات والمراجع:

1- يامنة إسماعيل وآخرون (2017). الذكاء الوجداني وبعض المشاكلات الانفعالية (القلق، الاكتئاب، الانتحار، جنوح الأحداث). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص185.
2- أحمد عياش (2003). الانتحار نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد. ط1، الفاربي، بيروت، ص41.
3- عبد الله بن مسعود الرشود(2006). ظاهرة الانتحار، التشخيص والعلاج. جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ص6.
4- حسين فايد (2001). العدوان والاكتئاب. ط1، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر، القاهرة، ص 290.
5- حسين فايد (2004). دراسات في السلوك والشخصية، ط1، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر، مصر، ص ص 212، 293.
6- أنتوني عذير(2005). علم الاجتماع. ترجمة فايز الضياع، ط4، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ص صص65،66، 76.
7- مكرم سمعان (1964). مشكلة الانتحار، دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري بالقاهرة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص28.
8- فخري الذباع (1968). دراسة نفسية اجتماعية موسعة لظاهرة قتل النفس، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص ص25، 26.
9- ليون مينارد (1997). الانتحار والأخلاق. ترجمة عادل العوا، دار دمشق للنشر، سورية، ص98.
10 اسر ثابت(2012). شهيقة اليائسين، الانتحار في العالم العربي، ط1، دار الثوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ص37.
11 عبد الحفيظ معوشة (2008). الميول الانتحارية وعلاقتها بتقدير الذات عند الشباب بمدينة باتنة، مذكرة مكملة لنيل درجة ماجستير في علم النفس المرضي الاجتماعي، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر، ص98(غير منشورة).
12 طاوس وازي، (2012). ظاهرة الانتحار بين التفسير الاجتماعي والتشخيص النفسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، عدد 8 الجزائر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ص صص 65، 67، 68 على الخط
http:// revue .univ.orrglo.dz/en/article/1272-2013.2018/04/13 الزيارة
13- DURKHEIM. Emile(1960), **le suicide**, édition P.U.F, France, p5.
14- BARDET. Marie(2000), **le suicide**, édition les essentiels Milou, France, p21.